سلسلة مياه الراحة "٥"

كيف تقهر الألـم

(قيثارات وجامات)

بقلـم

د. مجدى اسحق

كتب للمؤلف

سلسلة مياه الراحة

١- كيف تهزم اليأس
٢- التوبة رحلة فرح
٣- إله الضعفاء
٤- حزنكم يتحول إلى فرح
٥- كيف تقهر الألم
٦- تحرر من قيود الفشل

سلسلة علم النفس المسيحى

١- شخصيتك : أعرفها أقبلها طورها
٢- الأزمات النفسية : كيف تواجهها
٣-كيف تصنع قراراتك المصيرية
٤- العائلة أيقونة الله
٥- شخصيتك - الجزء الثانى (تحت الطبع)

أسم الكتاب : كيف تقهر الألم
المؤلف : د.مجدى إسحق
تصميم الغلاف : م. ضياء إسحق
الطبعة : الثانية - يناير ٢٠٠٣
الناشر : المؤلف
جمع الكمبيوتر : مارك برنت
المطبعة : بيت مدارس الأحد
رقم الإيداع : ٢٣٣١ / ٩٩
الترقيم الدولى : 7 - 7964 - 19 - 977

صاحب القداسة والغبطة
البابا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

رقم الصفحة

اهداء

مقدمة الكتاب

١–تمهيد ٧

٢– قيثارات ثـم جامات ١٠

٣– قيثارات وجامات من ذهب ١٧

٤– جامات مملؤة بخوراً ٢٥

٥– هوامش الكتاب ٣٢

إهـــداء...

إلى أبى وأب الكل أبونا القمص **إسحق عطاللـه** ، أتـم اللـه شفاءك

يا من احتملـت -ومـازلت- آلاماً لايحتملها بشر ..

ويا من شاركت سـيدك فـى احتمال التجربة ، فأوصى ملائكته ليحملوك ، وفتح لك أبواب السماء لتعاين أمجادها ..

يا من تنير الجميع بأبوتك وقداستك ، ويـا مـن تشـهد - فـى عمـق مرضك وألمك - بوداعة وشكر عن حب اللـه الساكن فيك ..

إلى من أرى فيه نور المسيح المفرح ، ومن أتنسم منه رائحة المسيح الذكية ..

إلى وجهك الملائكى وقلب الطفل الذى يمرح بين ضلوعك ..

وإلى شعبك المخلص الذى أظهر حبه الجارف لك ..

أقدم قبس من حبك الذى عشت حياتك - ومـا تـزال - تقدمـه لى ولكل أولادك ..

ابنـــــك

مجـــــدى

مقدمة

كلنا نشتهى **الراحة** ...

لكن فى طريق الحياة كثيرا ما نجد **الألـم والحزن** ..

ولأن النفس تقتات على الفرح ، سرعان ما تنحنـى وتذبـل أمـام عواصف الضيق ، ثـم تنطوى وتنعزل باكية مكسورة.

لكن مسيحنا هو سر الفرح **الحقيقى** .. نعم قد يسمح لنا ببعـض الآلام ، لكن سرعان ما يخرجنا منها مرنمين فرحين ، رافعـين أيـادى النصرة ، ومحملين ببركات الأبدية .

كيف نرى الترنيم وسط ليل الحزن ؟

وكيف نفرح وسط الضيق ؟

وكيف نقهر الألـم ونحوله لبركة ونصرة ؟

هذا ما ستقرأه معى ونحن نتلمس طريقنا إلى **مياه الراحة**..

" دخلنا فى النار والماء
وأخرجتنا إلي الخصب.. "
(مز ٦٦ : ١٢)

١
تمهيد

هل رأيت وردة جميلة من قبل ؟
بلا شك ..
لكن... هل تعلمت منها درساً **هاماً** ؟

إن الوردة لها لون جذاب ورائحة عطرة ومظهر خلاب، ولكن لها أيضاً ساق مملوء بالأشواك..

ترى... هل يمكن أن يجتمع الجمال والألـم فى **نفس** المشهد ؟
هذا الدرس الثمين نتعلمه من مشاهدة زهرة صغيرة..

لكن هناك مشهد **أروع**، يحكى نفس المغزى، شاهده يوحنـا الرائـى فى السماء : " ولما أخـذ السـفر خـرت الأربعـة الحيوانـات والأربعـة والعشرون شـيخاً (قسيسـاً) أمـام الخـروف ولهـم كـل واحـد **قيثارات وجامات من ذهب** مملوة بخوراً هى صلوات القديسين " (رؤ ٥:٨).

تأمل معى هذا المشهد البديع : أربعة وعشرون كاهناً، رمز كنيسة العهدين يمسك كل واحد منهم قيثارةً وجاماً..

لكن .. لماذا ؟

١ – القيثارة (العود) ***harp*** (١) آلة وترية تعود فى قدمها إلى لامك بن قاين (تك ٤: ٢١)، وكانت تستخدم عبر العصور للترنيم والتسبيح والعبادة (مزمور ٢٣: ٢، ٤٣: ٤، ١٥٠: ٣).

٢– والجام : وعاء معدنى ***Bawl*** أو ***Vial*** مسطح وقليل العمق ***flat shallow cup*** (٢) ، كان يستخدم لوضع الجمر المتقد بالنار.. والنار هنا إشارة للآلام والأحزان والضيقات.

ترى ..

هل يمكن أن تترنم الألسنة ، والقلوب ملتهبة بالضيق والأنين؟

وهل يمكن ان ترتسم البسمة على الشفاه والأعماق تحترق بنار الأسى ؟

إن هذا المشهد السماوى الحلو يقودنا لتأملات كثيرة عن الحزن الخلاق ، وكيف يستطيع الإيمان أن يقهر الألم.. أرجو أن ترفع قلبك معى أيها القارئ الحبيب بالصلاة ، ليفتح الله كنز الكلمة أمامك لتشبع منها وأنت تقرأها، وتكتشف البركات والدروس المختفية فيها ..

هكذا علمنا القديس **يوحنا ذهبى الفم** :

" من يقرأ الكتاب المقدس كمن يقرأ كنزاً .. وكما فى الكنز قد تجد قطعة معدنية صغيرة الحجم، تأتى لك بغنى طائل، هكذا أيضاً **من فقرة صغيرة من الكتاب** تستطيع أن تنال ثراء عظيماً وفيضاً من التأملات " .. (٣)

هيا نردد معاً يا صديقى – قبل أن نقرأ – من مزمور الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل، كلمات داود النبى " اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك " (مز ١٨ :١١٩)

وهيا بنا نبحر فى محيط الكلمة الإلهية ، ندخل إلى العمق ، **فنمسك خيراً كثيراً جداً** (لو ٥ : ٦) ، نأكل و نشبع **حتى الفيض** (مت ١٤ : ٢٠) و **نتعزى** تعزية ليست بقليلة (أع ٢٠: ١٢) ..

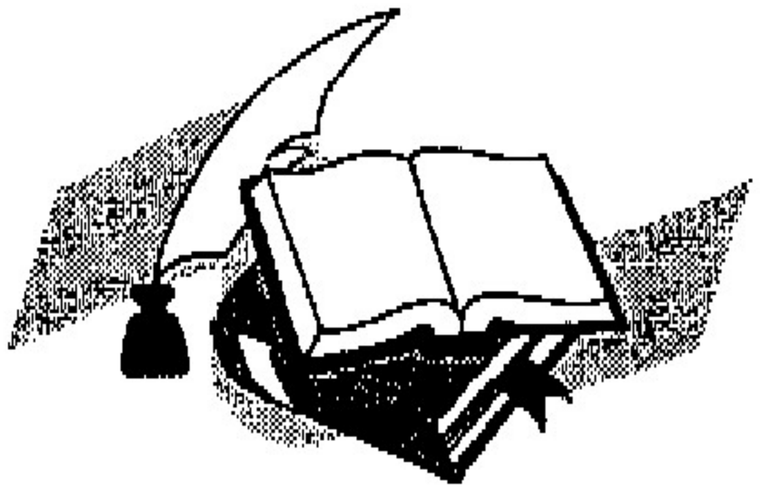

"المتضايق من أجل الله يحمله
الله على كفه أينما كان"
القديس مار اسحق السريانى

٢
قيثارات ثم جامات

لاحظ معى يا صديقى ترتيب الرؤيا ...

لقد انتبه الرسول يوحنا إلى **القيثارات** (الفرح) وتحدث عنه قبل أن يتحدث عن **الجامات** (الألم والضيق) .. وهذه الحقيقة غاية فى **الأهمية** ..

لا توجد تجربة يعدها لك الله إلا ويصاحبها **نعمة** خاصة لك تسبق التجربة نفسها لتسندك فى عبورها "سيجعل **مع** التجربة **المنفذ** لتستطيعوا أن تحتملوا" (١ كو ١٠:١٣)

ترتيب الأحداث

قد يبدو لك – أيها العزيز– أن الله يعطيك التجربة **أولاً**، ثم يتركك تطحن فيها وينام ، مثلما نام فى السفينة مع تلاميذه وتركهم يقاسون من أهوال الأمواج والرياح العاتية (مر ٤: ٣٧– ٤١)

وأخيراً ، بعد كثير من المعاناة والتضرع والصلاة والتذلل، ربما يستجيب لك بعد فوات الأوان.. أو غالبا ما لا يستجيب على الإطلاق ويتركك حائراً متشككاً ويائساً..

أليست هذه هى فكرتك الخاطئة عن الله ؟!

هذا يرجع إلى أن ترتيب الأحداث عندك **مختلف** عن ترتيب الأحداث لدى الله ، ورؤيتك للزمن **تختلف** عن رؤية الله ..

الزمن عندك يعنى **ماضى** حدث، **وحاضر** يحدث الآن، **ومستقبل** لم يحدث بعد.. أما الله فليس عنده زمان : إنه **فوق** الزمن بل هو صانع الزمن والممسك به بين يديه.. وعندما يسمح لك بألم أو ضيق ، فهو يعد **قبله** النعمة اللازمة و الخلاص الكامل ..

الله ليس إنسان مثلنا **يفاجأ** بالمشكلة، ثم يفكر فى الحل، و يحاول مواجهتها مرة تلو الأخرى، فيفشل مرة و ينجح فى الأخرى !!

إنما الله– تبارك إسمه – هو **صانع** التاريخ ، و **قائد** الزمن ، لا يحدث شئ دون رغبته و إرادته و سماحه..

اللـه **يـرى** الأحـداث كاملـة ، **ويُرتـب** حدوثهـا قبـل أن تتـابع مشاهدها على أرض الواقع.. كـون الألـم يظهـر أولا ، ثـم يظهـر الخلاص منه ، هذا هو **التاريخ** .. أما فى الإيمان– **أبو التـاريخ وسيده** – نحن نرى الخلاص **أولاً** قبل أن نرى التجربة !

عبور البحر

ماذا حدث عند **عبور** شعب إسرائيل البحر الأحمر!

يرى البعض أن الشعب **فوجـئ** بفرعـون يطـارده مـن الصحـراء مـع جيوشه الجرارة ، فحـاول الهـرب.. ولمـا وجـد البحـر أمامـه صـرخ إلى موسى ، وصرخ موسى بدوره إلى اللـه فشق لهم البحر و أتـم لهم النجاة..

قصة **جميلة** ، لكنها **تختلف جذرياً** عما حدث فعلاً !

هناك جزء من القصة يهمل البعض قراءته والالتفـات إليـه رغـم أنه **أهم** ما فى القصة..

لقد كلـم الرب نفسه موسى أولاً، وأمره أن يصطحب كل الشـعب و يقف بـه على البحر.. و لما تسـاءل موسى عـن السـبب قال له الرب

"فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض قد استغلق عليهم القفر ، وأشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتمجد بفرعون وبجميع جيشه ويعرف المصريون أنى أنا الرب" (خر ١٤:١-٤).

لقد قص الرب على موسى القصة كاملة ، وكلمه عن الخلاص الذى سيصنعه لشعبه **قبل أن يتم فعلا** على مسرح الزمن!

هكذا صنع الله الزمن لشعبه..

وهكذا كان موسى يرى الخلاص **قبل** التجربة ، لذلك أمسى ثابتا، مطمئناً ، بل كان يشدد الشعب كله " قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم" (خر١٣:١٤).

أيها الحبيب: إذا تعلمت أن ترى قيثارات الخلاص والفرح ، قبل جامات الآلام ، سوف تغدو مبتهجا ، سعيدا واثقا ومنتصرا.

أليشع والغلام

أرسل ملك آرام جيشا ليحاصر أليشع رجل الله فى المدينة "دوثان" – كان جيشاً **ثقيلا** (٢مل ٦:١٤) كما يقول الكتاب ،

أو بلغة سفر الرؤيـة **جامـاً** متقـداً بالنـار، يحـرق كـل مـن يلمسـه ، وارتعب غلام أليشع "جيحزى" إذ لـم يرْ سوى الجام الملتهب.

أما أليشع نبى الله الممتلئ إيماناً، فكان يرى القيثارات الإلهية، و المعونة المعدة له قبل التجربة. وصلى أليشع ليفتح الله عينى الغلام "ففتح الرب عينى الغلام فأبصر وإذا الجبل مملؤ خيلاً ومركبات نار حول أليشع " (٢مل ٦:١٧).

نعم طوبى للعين التى تـرى حـب اللـه وحمايتـه، وطوبـى للقلـب الذى يرى – بالإيمان – ما لا يراه البشر، انه الإيمان الذى يثـق ويستهين بالمنظور، ويتجاوزه إلى أعتاب السماء.

الأفخارستيا: قيثارة حب وجامة ألم

أروع مثال لنا فى هذا الحديث هو **الرب يسوع نفسه** فى ليلة آلامه..

كان يستعد لحمل آلام البشرية كلهـا، آلام الخطيـة المـرة.. كـان مقبلاً على صليب العار، وهو يعلم تـماماً مقدار المهانة والذل الـذى «سيحمله» بلغة الإنجيل " فخرج يسـوع وهـو **عالـم** بكـل مـا يـأتى عليه" (يو ١٨:٤).

كان السيد المسيح يرى **جامة الغضب الإلهي** و الدينونة الإلهية، وكان يستعد ليحمل **نار** الألم نيابة عنى وعنك.

لكنه – تبارك أسمه – كان يُمسك أولاً بقيثارات الذهب.. كان يعلم أن هذه الآلام خارجة من يد الرب. " **كان ناظراً للسرور الموضوع أمامه**" (عب ١٢ :٢) .. وكان يعلم أن خلاصك وخلاصى وخلاص البشرية كلها لن يتم إلا بعبوره لجبل الصليب. كنا **نحن** سروره الموضوع أمامه ، لذلك رفع قيثارته الذهبية ليعزف الحان الشكر والتسبيح فى أروع ترنيمة عرفتها البشرية : ترنيمة الأفخارستيا الخالدة (٤)

لقد أخذ يسوع – فى ليلة آلامه – خبزاً **وشكر** أولاً(القيثارة) ثم **كسر** (الجامة) ، وأعطى تلاميذه ليأكلوا جسده ويشربوا دمه (لو ٢٢ :١٩) .. هكذا **سبق** الشكر الألم ، ورأينا القيثارة قبل الجامة.

ومنذ ذلك اليوم، ظلت الأفخارستيا – أفخارستيا الذكرى (٥) الكاملة و الخالدة ، ذكرى الحضور **الحقيقي**– تتوسط ليتورجيا الكنيسة إلى اليوم ، شاهدة على القيثارة التى تسبق الجامة ، وعلى ترنيمات الشكر والفرح التى تسبق الآلام (٦)

أيها القارئ الحبيب ..كلما تناولت من ذبيحة الأفخارستيا ، تذكر ترنيمة الشكر التى رنمها الرب يسوع لأجلك ، ورنمها معه – وتذكر أن الأربعة والعشرون كاهناً كانوا يمسكون بقيثاراتهم وبجاماتهم وهم واقفون أمام الخروف القائم كأنه مذبوح (رؤ ٥: ٦،٨) ..

كانت ترنيماتهم **صدى لترنيمة الرب** التى رنمها فى علية صهيون ، وكان شكرهم الذى يسبق آلامهم **مستمداً من أفخارستيا** خميس الفصح الجديد، وكان تكريسهم لحياتهم وتسليمهم إياها ليدى الآب **ترديداً** لأنشودة التكريس الخالدة التى عزفها مسيحنا الحلو فى ليلة آلامه " لتكن لا إرادتى بل إرادتك" (لو ٢٢: ٤٢).

ما أجمل القلب الشاكر والمرنم وسط حزن ، و ما أجمل قيثارات التسبيح على مسامع الرب : أنها تفرح قلبه وتؤكد له أن صليبه لم ينتهى بغروب شمس يوم الجمعة الكبيرة ، بل ظل قائماً فى قلوب أولاده الشاكرين والخاضعين لتدبيره الحكيم المبارك ، مهما كان مؤلما.

نعم.. إننا نمسك قيثارات الفرح **بالإيمان** ، ثم نقبل جامات الألم بشكر و اتضاع..

"علامـة حسنو وترفق اللـه العظيم ليس فى العطاء فحسب، بل وفى أخذ ما قد أعطانا: هكذا فإن اللـه إذ يحرم، يقدم لنا نفعاً أعظم".
القديس يوحنا ذهبى الفم

٣

قيثارات وجامات من ذهب

حقيقة ثانية تتكلم عنها هذه الآية: " الذهب " ..
وإلى **ماذا** يشير الذهب؟

إنه يشير إلى الأشياء التى **لا تتغير**، فالذهب هو المعدن النفيس الذى لا يتبدل ولا يتأثر بأى عوامل خارجية. وهو لذلك يشير دائما إلى **مواعيد اللـه** الثابتة والأمينة التى لا تتغير. وقد لاحظ يوحنا أن القيثارات والجامات كلاهما مصنوع من **الذهب**.
لذا ، دعنا أولا نتحدث عن :

أولاً : قيثارات الذهب

إن الترنيمات التى نرددها أثناء آلامنا وتجاربنا قائمة على **ثقتنا** فى حب اللـه الذى لا يتغير من نحونا.. إنها ترنيمات " ذهبية "..

هذه الحقيقة لا بد أن تسعد قلبك أيها الحبيـــب ، إن محبـة اللـه لـك تظل ثابتة مهما تبدلت محبتك له ، ومهما كان ضعفك أو عدم أمانتك، وسند اللـه لك وسعيه لإنقاذك وحمايتـه لـك وسـط آلامـك لا يعتمـد على مدى حبك له بـل هو قائم على محبة إلهية **ثابتة** من نحوك.

إنه اللـه الذى "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع ١:١٧) ، وحبه لك كالذهب لا يتبدل ولا يتغير " محبة أبدية أحببتك" (أر ٣١:٣).

هل تثق فى محبة اللـه **رغم كل الظروف المؤلمة** التى تجتازها ؟ يمكنـك – يا صديقى – أن تترنـم بمواعيد قيثارات اللـه الذهبية. أنظر كيف أطلق عليها الكتاب ، فى رؤيا تالية " قيثارات **اللـه**" (رؤ ١٥:٢).. هنا رأى يوحنا المائة و الأربعة والأربعون ألفـاً الأبـرار وهـم يحملـون **نفس** القيثارات الذهبية ، ويعزفون الترنيمة الجديدة السمائية التى لـم يتعلمهـا غـيرهم (رؤ ١٤: ٢،٣)– رآهـم يوحنـا واقفـين علـى بحـر زجـاجى مختلط بنار (رؤ١٥،٢).. كانت آلامهم **تحتهم** و ليـس فوقهـم و كـانوا غالبين إذ **وطئوها بأقدامهم** ، وهـم يترنمون بقيثاراتهم التى أخذوها مـن اللـه نفسه: قيثارات المواعيد العظمة والثمينة (٢ بط ١:٤).

أتون النار

أنظر إلى الثلاث فتية فى **آتون** النار..

قال عنهم الملك نبوخذ نصر الذى أمر بإلقائهم فى هـذا الجحيم "ها أنا أنظر أربعة رجال **محلولين** يتمشون فى وسط النار و ما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بإبن الآلهة" (دا ٣:٢٥).

نعم يمكنك أن تتمشى حراً طليقاً فى وسط النار، وكأنك تتجول فى جنة فيحاء ، طالما يصاحبك الرابع الشبيه بإبن الآلهة ، يسوع المخلص الحلو الذى وعد قائلا " لا تخف لأنى معك، لا تتلفت لأنى إلهك ، قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى"(أش ٤١:١٠).

أيها الحبيب : إذا خفت بسبب كثرة الألم أو قسوة التجربة تذكر وعد الله الذهبى " إذا مشيت فى النار **فلا تلذع** و اللهيب لا يحرقك لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك" (إش ٤٣: ٢،٣) ..

ترنم و أنت فى **وسط الأتون** بمواعيد الله الثابتة ، فأنت ترى ما لا يراه سواك بروح الإيمان ، ترى إبن الله نفسه وهو يؤازرك ويحمل عنك ألمك و يمسح كل دمعة من عينيك (رؤ ٧:١٧).

وماذا عن بولس و سيلا ؟

كانت جامات الألـم وجمرات العذاب قد انسكبت على جسدى التلميذين " قام الجمع عليهما و مزق الولاة ثيابهما و أمرا أن **يضربا بالعصى** فوضعوا عليهما ضربات كثيرة و ألقوهما فى السجن" (أع١٦: ٢٢،٢٣) . ولـم يكتف حارس السجن بهذا بل قيدهما بسلاسل ووضع أرجلهما فى المقطرة (أع ١٦ : ٢٤).

حقاً .. ما أقسى هذه الجامات !

لكن تمهل.. لقد كان التلميذان يمسكان باليد الأخرى قيثارات الذهب "فقاما نحو نصف الليل يصليان و **يسبحان** الله والمسجونون يسمعونهما " (أع ١٦:٢٥).

لقد كان الله **حاضراً معهما** وسط الآلام إذ كانوا يرونه بالإيمان ، وكانوا يثقون فى مواعيده الأمينة والثابتة رغم الجسد المثخن بالجراح.

نعم: جامة فى **القدمين** " المقطرة "، وقيثارات فى **الشفتين** "التسبيح". إنها عيون الإيمان التى تعاين سر الحضور الإلهى..

ونفس هذه القوة التى عاشها الرسل ، أختبرها **آباء الكنيسة**..

تـأمل معـى – مثـلاً – مـاذا فعـل القديـس أثناسـيوس الرسـولى البطريرك العشرين عندما تعرض لهجوم مفاجئ؟

فقد كان ساهراً يصلى مع المؤمنين في إحدى الكنـائس ،وفجـاة أحاط بالكنيسة خمسة آلاف جندى مسلحين ، وطالبين قتلة بسـبب تمسكه بالإيمان .

فماذا فعل؟

بهدوء شديد طلب من الشماس أن يقود الشعب فى تسبيح اللـه بمزمور ١٣٦ والذي لا نزال ننشده إلى اليوم فى نصف الليل "الهوس الثانى".. تقول بعض فقرات هذا المزمور :

"احمدوا الرب لأنـه **صـالح** لان إلى الأبـد رحمتـه .. **أحمـدوا** الـه الآلهـة لان إلى الأبـد رحمتـه .. الصـانع العجـائب العظـام وحـده .. الذى ضرب ملوكاً عظماء (أشرار) .. الذى فى مذلتنا ذكرنا **ونجانا** من أعداءنا ".

وهل تعلم **ماذا** حدث ؟

تماماً مثل قصة بولس وسيلا عندما تزعزعت أساسات السجن ، وتحطمت قيودهما وانطلقا أحراراً ..لقد اقتحم الجنود الكنيسة ، **وأخفاه الرب عن عيونهم** ولم يتمكنوا من القبض عليه (٧).

ما أجمل القلب الشاكر والمرنم وسط الألم : انه سر نصرة وغلبه وفرح وكرازة.

ثانيا : جامات الذهب

بالإضافة لقيثارات الذهب هنالك أيضا **جامات الذهب**.

إن آلام الحياة التى يسمح بها الله لك هى أيضا **آلام ذهبية**. كثيرون ينسبون آلامهم إلى سوء الطالع أو القضاء والقدر أو ربما ينسبونها إلي ظلم المجتمع أو حتى إلى ظلم السماء .. إنها أفكار عدم الثقة والشك فى عناية الله التى يلقيها الشرير فى الأذهان.

لكن انظر معى : إن الجامات مصنوعة من **نفس** معدن القيثارات . فالآلام التى تمر بها صادرة من **نفس اليد** التى تصدر منها إحسانات الله لك .. إن أحداث الحياة مؤلمة – كانت أو مفرحة – هى نابعة من يد إله المحبة.

لا يوجد فى حياه المسيحى ما يسمى بالصدفة أو بـالقدر.. كـل مـا يحدث فى حياتك سبق اللـه فـأعده " مـن ذا الـذى يقـول فيكـون والـرب لـم يـأمر ، مـن فـم العلـى ألا يخـرج الشـرور والخـير " (مراثى٣:٣٧،٣٨) .. لا يوجد **ما يسمى شر** فى حياة ابـن اللـه ، فما تسميه شراً هو ما تراه بعينك القاصرتين ، أما ما هو فى الحقيقـة فهو الخير ذلك لأن "كل الأشياء **تعمل معاً للخير** للذيـن يحبـون اللـه" (رو ٨:٢٨)

إن الأمور المؤلمة يسمح بها اللـه لأنها سوف تحقق لك الخـير فيمـا بعد، ولأن خلاصك وبنيانك وسعادتك لن يتحقق بدون هذا الألـم.

لقد سمح اللـه لأخوة يوسـف أن يحسـدوه ، وسمح اللـه لامـرأة فوطيفار أن تلقيه فى السجن زوراً وظلماً وافـتراءاً.. ولكـن كـانت يد اللـه خلف الزمن تحرك الأحداث لتصل بيوسف إلى عرش مصـر ، فقال – لذلك – مقولته الخالدة : "أنتـم قصدتـم بى شرا ، أما اللـه فقصد به (أى بالشر) خيرا" (تك ٥٠:٣٢).

إن اللـه الذى لـم يتردد فى بذل ابنه الوحيد ذبيحـة خـلاص مـن أجلك ، لن يسمح لك بشىء ما لـم يكن فيه خيرك" (رو ٨:٣٢)

الإيمان هو الذى يعلمنا أن **نعانق الحـزن** ونحتضـن الضيـق ونقبـل الألـم ، عالمين أن كل الأشياء –سواء أكانت مواتيـة أو معاكسـة– تعمل معا لخيرنا وخلاصنا وسعادتنا.

لكن ليس بالضرورة أن ينتهى الالـم لكى نـرى حكمـة اللـه .. فربما يبقى ليحقق قصداً إلهياً ثـميناً ..

فالموت ألـم لاينتهى، والمـرض الـذى يسـمح اللـه بدوامـه ضيـق مستمر ..

لكن .. لكل ألـم **هدف ونهاية** ..

هـدف الألـم هـو نقـاء القلـب وتحـرره مـن التعلـق بالعالـم والاستعداد للقاء الرب فى الأبدية ..

ونهاية الألـم حتمية : هنا بظهـور معنـاه ومغـزاه، **أو هنـاك فـى** السماء عندما يكشف اللـه منتهى مقصده وحكمتـه الـذى لانعـرف عنهما إلا أقل القليل ..

نعم: لكل صليب قيامة .. فتشدد وتشجع وانتظر الرب (مز ٢٧ : ١٤)

✞✞✞✞✞

"الفارق بيننا وبين الآخرين الذين لم يعرفوا الله أنهم فى الضيق يشتكون ويتذمرون ، أما نحن فلن ينحرف بنا الضيق عن حياة الفضيلة والإيمان، بل نتقوى باحتمالنا إياه"

القديس كبرياتوس الشهيد

٤

جامات مملوءة بخوراً

كان الجمر المتوهج بالنار بداخل الجامات يذيب حبات البخور، فتتصاعد منها رائحة عطرة لتملأ السماء ، أسماها يوحنا "صلوات القديسين" .. وهناك عدة دروس نتعلمها من هذا البخور ...

أولاً : درس فى الصلاة

الصلاة أثناء الآلام تحول الضيقة إلى هناء وعزاء، إنها تحول الألم إلى رائحة عطرة معزية تملأ النفس بهجة . الصلاة تخلق **قلباً مرناً** ، بها تستقر السماء فى قلوبنا .. إن الله هو "مؤتى الأغاني بالليل" (أى ٣٥: ١٠) . . تستطيع إذن أن تغنى وتبتهج وسط ليل التجارب إذا ما التصقت بمصدر كل فرح.

لقد كانت ليلة آلام الرب هى ليلة صلاته الحـارة .. أنظـر إلى كلمـات الكتـاب "خـرج ومضـى **كالعـادة** إلى جبـل الزيتـون" (لو٢٢: ٣٩) ، فقد كانت عادتـه أن يصلـى إلى الآب كلمـا هبـت عليه رياح الحزن.. وقد أراد الرب لك أن تتعلم هذا الدرس.

صديقى : لا تتحدث مع كثـيرين وقـت ألمـك ، ولا تتلفـت حولك بحثا عن الحلول تعلم أن تنظر إلى **فوق** ، وأن تتقدم إلى عرش النعمة وسوف تجد نعمة وعوناً فى حينه (عب ٤: ١٦).

تعلم الصلاة ، فان أحد أهـداف التجـارب أن تعلمـك الصـلاة ، ولو نجحت أن تتعلم هذه الدرس وحده ، لشكرت اللـه على الألـم..

إن القلب **يتضع** بـالآلام وشمـس **التوبـة** تشـرق علـى القلـب الـذى سحقته الضيقات، والنفس تزداد **التصاقاً** باللـه أثناء الحـزن إذ تكتشـف ضعفها وحاجتها.

عزيـزى ،لا تغلـق علـى نفسـك فـى آلامـك ، إهـرب إلى اللـه بالصلاة، وترنـم بأغنية داود "يا رب استغثت فشفيتنى" (مز٣٠: ٢)..
اللـه يستطيع أن يحول نوحـك إلى رقـص (مـز ١٠: ١١) ، ويقـدر أن يخرج لك من الجافى حلاوة ومن الآكل أُكل (قض ١٤: ١٤).

الصلاة وقت الألـم بخـور عطـر يفـرح قلبـك المنكسـر ، ويفـرح قلب اللـه نفسه : كيف لا وهو يرى إيمـان ابنـه وتمسـكه بـه وحبـه الثابت رغم تحدى الظروف !

ثانيا : درس فى الشهادة

الدرس الثانى الـذى نتعلمـه مـن البخـور بعـد درس الصـلاة هـو **الشـهادة للمسيح ..**

النار إذا أحرقت **أى مادة** ، تتصاعد منها أبخرة سوداء ، ورائحـة رديئة .. كذلك النفس إذا **تذمرت** على الألـم ، وابتلعت فى الحـيرة والرثاء الذاتى والثورة والحقد ، تتصاعد منها رائحة الموت ، وتقـدم أسوأ صورة عن المسيح وعن المسيحية.

لكن الأمر مع البخور **يختلف تماما** ..

انه المادة **الوحيدة** التى إذا اجتازت فى النار ، تتصاعد منها أروع رائحة. كذلك النفس الشاكرة المؤمنة ، إذا اجتازت نار الألـم فهـى تملأ الجو برائحة المسيح الذكية.

هنا يقف العالم مبهوراً : **كيف** يفرح المؤمن وقت الألم إن لم تكن قوة الله ساكنة فيه ؟ هكذا يشتم الآخرون رائحة الرب من خلال جامات مملوءة من بخور الشكر والثقة والمحبة الإلهية.

يائس كورنثس

هل تعلم من هو يائس كورنثس ؟

انه الرسول العظيم بولس، الذى بشر ثلاثة أرباع العالم بالمسيحية وكتب نصف العهد الجديد بيديه !!

لقد كتب بولس رسالته الثانية وهو فى قمة آلامه.. قال عن هذه الآلام :

١- أنها كثيرة (٢كو ١:٥) (والكلمة اليونانية Perisseus تعنى حرفيا وفيرة فى الكم وفى الكيف (Abound in quantity or quality)

٢- وأنها **فوق** الطاقة (٢كو ١:٨).

٣- وأنها وصلت به إلى **قمة** اليأس "حتى يئسنا من الحياة أيضاً (٢كو ١:٩).

لكن الرسول انتصر على الألم بثقة فائقة. لقد اعترف بأدق تفاصيل اختباره الروحى ليطمئن كل واحد فينا إلى أن المسيحية **لا تلغى مشاعر الإنسان** ، ولا صراعاته ،ولا تجرده من حقه فى التألم والتوجع والأنين.. إنما المسيحية نقلة ، **نقلة** حب وغلبة من موقف

اليائس إلى موقف الواثق فـى الوعـد ، والغـالب بالنعمـة "الـذى لنـا رجاء فيه انه سينجى أيضاً فيما بعد" (٢كو ١: ١٠).

وماذا كانت النتيجة لهذا الموقف المشرف ؟

يتحدث الرسول بولس – وهو يكمل لنا قصة اختباره الروحـى الناضج – فى الأصحاح الثانى من نفس الرسـالة : " لأننـا رائحـة المسيح الذكية " (٢كو ٢: ١٤، ١٥).

هكذا جاز بولس الألـم وتصاعدت منه رائحة بخور ذكية، رائحة نصرة فوق الألـم ، **ورائحة كرازة صامتة** – لكـن حيـة وفعالـة لأقصى الحدود – كرازة بالقيامة التى هزمت اليأس والموت والألـم.

النفس المبتسمة وسط الحزن تشهد عن المسيح أكثر – بما لا يقاس– من مئات العظات ومن آلاف الكتب : هذه هى **معجزة** المسيح !

هكذا انتشرت المسيحية فى فجرها بهذا الأسـلوب.. لقـد ظنـت قوى الشر أنها إذا أثارت الاضطهاد على المسـيحية سـوف تقضـى عليها. فإذا بالمسيحيين ينهجون نهج سيدهم .. لقد جاز المسيح نـار الألـم فاحترق كلبان البخور وتصاعدت رائحة حبه لتملا العالـم كله.

وبالمثل اجتاز تلاميذه الآلام شاكرين فازدادت المسيحية انتشاراً..

كان الشهيد يبارك الله، **ويشكر** معذبيه، وأحيانا كان **يقبلهم** **ويستضيفهم** كاحباء. وأحيانا أخرى كان **يشفى** أمراضهم متشبها بالسيد الذى شفى أذن عبد رئيس الكهنة وهو يصاحب زمرة الجنود الذين قبضوا على الرب ليلة خميس العهد (لو ٢٢: ٥١).

وبسبب هذا الحب، كان الوثنيون يؤمنون بالمسيح : الشهيد الذى يحمل قلباً مرنماً ، وثغراً باسماً، وحباً متدفقاً وسط حامات الألم كان نورا للرب **لا يتمكن أى قلب من مقاومته.**

إذن اخرج للعالم شاهدا لمسيحك أيها الصديق.. قل للجميع إن الآلام لم تنجح ولن تنجح فى تحطيمك أو فى زعزعة ثقتك فى إلهك المحب الذى يدبر كل أمورك.

أعلن على الملا – لا بكلامك فقط – بل بموقفك الشاكر الخاضع المرنم، نبا القيامة التى هزمت القبر.

يا إلهي ...

أيها الخروف المذبوح عنى ..

يا من أمسكت بقيثارة الأفخارستيا و بجامة الصليب بيديك ، أعنى لأمسك بهما معك، بل أعنى لأراك تحملهما نيابة عنى.

ساعدنى لكى أترنم بحبك وبشكرك فى وسط آلامي وضيقى. إجعلنى أجوز النار مثل لبان البخور مقدما لك رائحة طيبة ذكية تفرح قلبك وسط كون أدار لك ظهره ، ورفض حبك وتذمر على تدبيرك .

والى أن أراك إجعلنى ساهراً مرنماً بأغنيات حبك وشكرك وسط ليالى غربتى ، شاهداً على نصرتك بين أشواك الألم التى سمحت بها – فى حبك – لخلاصى وبركة حياتي.

لك المجد فى كنيستك إلى الأبد آمين ..

هوامش الكتاب
Foot Notes

(1) The N.I.V Study Bible - Ed. Kenneth Barker - Zondervan Bible Publishers - Grand Rapids, Michigan - USA-1985 - P.1942

(2) Ibid.

(3) Quoted by Anthony M. Conairis, Daily Readings from the Writings of St. John Chrysostom - Light & Life Publishing Company, Minnesota, USA, 1988 - P. 48

(٤) أفخارستيا كلمة يونانية الأصل eucharisteo معناها "شكر" أو "حمد"

(٥) الكلمة اليونانية ذكرى anamnesis لا تعنى مجرد التذكر الذهنى، ولكن تعنى استدعاء الحادثة recall مرة ثانية أمام الذهن وأمام الزمن وكأنها تحدث اليوم. هكذا عبرت الكنيسة عن الكلمة بصلاتها فى ليتورجيا القديس أغريغوريوس "يا الذى بارك فى ذلك الزمان الآن أيضا بارك".

(٦) هذا بالإضافة لمعانى هذا السر الأخرى من الثبات فى الرب وغفران الخطايا والاتحاد ببقية الأعضاء فى الجسد الواحد.

(7) St. Athanansius, Defence of Hid Flight, 24.

(8) Spiros Zodhiates - The Hebrew - Greek Key Study Bible - word Bible Publishers, USA - 1991 - P. 1748.